8

الفراسة عند النساء

من هن أفرس النساء؟

من هم أفرس الناس؟

الفراسة عند الفلاسفة القدماء والعرب.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفراسة عند النساء

الفراسة تعلم من لدن الله سبحانه وتعالى تساوى فيه الرجال والنساء، إلا أن حظ الرجال فيه أكثر، لأن الفراسة من الكمال البشرى الذى نقص عند النساء، فقد جاء فى الحديث النبوى أن كمل من الرجال كثير وكمل من النساء السيدة خديجة بنت خويلد ومريم بنت عمران وآسيا امرأة فرعون.

قال ﷺ: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أسيا امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.».

ولعل تلك الفراسة هى الفراسة الإيمانية وليست المكتسبة، فالفراسة الإيمانية لا تأتى إلا باكتمال الدين عند الشخص المؤمن الذى يرى بنور الله، ولعل الحديث أيضاً يشير إلى أفرس النساء اللائى فى الصفوف الأولى وهذا لا يمنع من وجود أخريات غيرهن أقل منهن قدراً فى الفراسة والله أعلم.

وقد ذكر أهل العلم أن أفرس النساء هن أربعة: خديجة بنت خويلد وأسيا بنت مزاحم زوجة فرعون، وملكة سبأ، وصفورا زوجة موسى عليه السلام.

وبالطبع ليس هؤلاء هن الوحيدات من جنس النساء المتصفات بالفراسة لكنهن أفرس النساء، وبالتالى يوجد غيرهن ممن اشتهرن أيضا بالفراسة، وذلك مثل أن تقول نجح من الألف ممتحن مثلاً ستمائة وتفوق خمسة منهم.

لقد كانت فراسة هؤلاء الأربعة التى ذكرهن العلماء نابعة من الفطرة السليمة وكانت لفراستهن الأمر العظيم الذى غير مجرى أمور كثيرة كبيرة فى

حياة الكثير من حولهن، فكان اختيارهن من قبل العلماء على هذا النحو.

فترى السيدة خديجة ﵂ ذات فراسة إيمانية عظيمة، حين رأت نور النبوة يشع من خلال وجه النبى ﷺ وقوله وتصرفاته، فخطبته لنفسها وتزوجته، وحين جاءه الوحى من قبل الله عز وجل يقول له: اقرأ، كانت خديجة بفراستها قد أدركت أنه الوحى والنبوة.

فكانت أول من أسلم وآمن وهذا من كمالها وعظم فراستها.

وصفورا حين رأت موسى ﵇ وكيف أنه سار أمامها حين دعاه أبوها لمكافأته عما فعل، قال تعالى:

﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ (القصص: ٢٥)

وكان اللقاء بين موسى ﵇ والرجل الصالح فى أرض مدين.

ثم جاءت فراسة الابنة الصالحة الذى دعا الأب الصالح أن يدعو موسى ﵇ على أن يتزوج إحدى ابنتيه.

فقد رأت الابنة صلاح موسى ﵇ وقوته فى أمرين حين رفع الصخرة عن البئر بمفرده كى تشرب من مائه الأغنام.

والموقف الثانى حين ذهبت إليه تدعوه كما أمرها أبوها، فمشى موسى ﵇ أمامها وقال لها: كونى ورائى، ودلينى على الطريق يميناً أو يساراً بالإشارة.

فأدركت المرأة الصالحة بفراستها الإيمانية أنه رجل غير عادى فقد توافر فيه أمران هما القوة والصلاح. فقالت لأبيها: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦)

ولهذا عرض الرجل الصالح على موسى ﵇ أن يختار إحدى ابنتيه ليتزوج بها على أن يعمل لديه مدة من الزمن كمهر لها.قال تعالى ﴿ قَالَ إِنِّي

أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ﴾ (القصص: ٢٧)

فأختار موسى عليه السلام صفورا تلك المرأة صاحبة الفراسة.

قال ابن مسعود رضي الله عنه:

أفرس الناس ثلاثة: صاحب يوسف حين قال لامرأته: أكرمى مثواه، وصاحبة موسى حين قالت: يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين، وأبو بكر حين استخلف عمر بن الخطاب.(١)

وبلقيس ملكة سبأ التى أرسل إليها سليمان عليه السلام يدعوها وقومها للإسلام فأشارت على قومها أن تختبر أمر سليمان، هل هو ملكاً عادياً أم ملكاً نبياً، فالملك العادى يريد الدنيا ويفرح بالهدايا والمال، وأما الملك النبى فهو يريد الآخرة ودعوة العباد إلى الله عز وجل.

فأشارت على قومها أن ترسل له هدية، فتنظر ما يكون من أمره وماذا يكون رد فعله،

فإذا كان يرغب فى المال فسوف يقبل الهدية ويفرح بها وإن كان الأمر أمر عقيدة رفض المال والهدية.

قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ* وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل: ٣٤ ـ ٣٥)

فكانت فراستها ثاقبة، حين جاءها أيضا رد سليمان عليه السلام.. قال تعالى:

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ (النمل: ٣٦ ـ ٣٧)

فكانت استجابة بلقيس لدعوة سليمان عليه السلام فورية فأسلمت وأعلنت

(١) أخرجه الحاكم وصححه وأقره الذهبى والطبرانى فى الكبير وابن عساكر فى تاريخ دمشق وابن أبى شيبة فى مصنفه.

إسلامها أمام سليمان حين قدمت إليه.

قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل: ٤٤).

وأما أسيا بنت مزاحم زوج فرعون المؤمنة ذات الفراسة العالية فقد قالت حين رأت موسى عليه السلام رضيعاً فى التابوت وقد أراد فرعون وجنوده حين رأوه قتله قالت لهم:

﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ (القصص: ٩).

فقد رأت أن هذا الطفل الرضيع سوف يكون له شأن عظيم، وكان ما توقعته بفراستها الإيمانية الربانية.

وهكذا كانت خديجة وزوجة موسى عليه السلام وامرأة فرعون وملكة سبأ هن أفرس النساء وأعلاهن فراسة فى التاريخ الإنسانى، وكانت فراستهن فراسة إيمانية ربانية.

الفراسة عند الفلاسفة والقدماء والعرب

تكلم الفلاسفة القدماء عن الفراسة، ومنهم القدماء المصريون والعرب، مثلاً أبو الطب المسمى أبو قراط (٤٦٠ ـ ٣٥٧ ق.م) قال: إن البيئة هى التى تشكل الميول والأخلاق والألوان والملامح.

ثم قسم الناس تقسيماً طبياً فى عصره حسب الأمزجة الأربعة التى تحدثنا عنها وهى: المزاج الدموى والمزاج الصفراوى والمزاج السودوى والمزاج الرطب.

وأرسطو الفيلسوف اليونانى الشهير قد وضع كتاباً هو من أوائل الكتب عن الفراسة فى القرن الرابع قبل الميلاد. ويصف أرسطو مختلف أعضاء الجسم البشرى، ويربط بينه وبين أخلاق وطباع البشر، واوضح فيه أن صفات الشجاعة والحماقة والجبن والحكمة والذكاء والغباء لها دلالات تدل على صفات وملامح خارجية بالجسم.

فالشخص القوى صاحب الجرأة والشجاعة له قامة معتدلة وشعر خشن، وعظام ضخمة وبطن عريض مسطح، وصدر عريض، وعيون براقة وجلد خشن وجبهة صغيرة مستقيمة.

ويرى أرسطو أن الشعر الصوفى يشير إلى الجبن عند صاحبه.

وأن المشى بثبات المؤخرة مع الأكتاف دليل تبجح الإنسان.

وأن انحناء الاكتاف مع الميل إلى الأمـام أثناء المشى دليل على أنه صاحب

قدرة عقلية عالية.

وأن الرجل النموذجى فيه صفات الأسد من ناحية شكل الفم ووسامة الشكل والعيون العميقة البراقة والجبهة المربعة الغائرة قليلاً من الوسط والرأس المتوسط الحجم والرقبة الطويلة العريضة وشعر العنق أسمر مصفر لا هو جاف ولا مجعد، والكتفان قويتان، والصدر العريض، والأرجل المستقيمة، وقلة الشحم وكثرة اللحم، والمشى بهدوء وقوة ورشاقة.

وأما العرب القدماء فكان لهم براعة وإتقان فى الفراسة، واستخدموها فى القيافة والريافة والعيافة والاختلاج.(١)

ومن علماء العرب الذين كتبوا وتحدثوا عن علم الفراسة: الإمام الفخر الرازى وابن رشد وابن سينا وابن قيم الجوزية، والإمام الشافعى وابن عربى وغيرهم.

وقد ربط الرازى فى كتابه عن الفراسة بين أمزجة الإنسان الأربعة التى ذكرها أرسطو وبين الاستدلال على باطن الإنسان.

ومن الذين ربطوا بين الفراسة والحالة المزاجية للإنسان «دى هورت» الذى ألف كتاباً عن الفراسة عام ١٥٧٥ وهو عبارة عن إجراء اختبارات فسيولوجية وسيكولوچية لمعرفة مواهب الرجال(٢).

وأساس نظريته أن الحالة المزاجية والمرضية للإنسان تؤثر على شخصيته، فالبرد مثلاً له تأثير على العقل.

والجفاف يزيد القدرة على الفهم ويجعل الذهن مرناً والذاكرة نشيطة.

وإن الحرارة تنشط الخيال.

---

(١) القيافة هى الاستدلال بأحوال الإنسان الخارجية وشكله على تحديد النسب.
والريافة: هى الاستلال بظواهر التربة على وجود الماء فى باطن الأرض.
والعيافة هى تتبع آثار الأقدام فى الطرق الرملية وغيرها للاستدلال على الأشخاص.
والاختلاج هو معرفة ما سوف يحدث للإنسان من خلال النظر إلى اختلاج أعضائه من الرأس إلى القدم.

(٢) وقد سمى كتابه «اختبار مواهب الرجال».

ويرى أن الجرأة تدل على وجود حرارة زائدة فى الجسم وأن اليد الرطبة تدل على التردد وعدم الاستقرار فى الرأى لدى صاحبها،

وكذلك الأيدى والأقدام الباردة تدل على قدرة ذهنية محدودة لأصحابها.

ويرى «هورت» أن النساء يتصفن بالبرد والرطوبة ولهذا فإنهن محدودات الفهم والخيال.

وأن الرجال يتميزون بالحرارة والجفاف ولهذا فهم أكثر من النساء فى العقل والخيال.

واستدل «هورت» بالصوت لمعرفة حالة الشخص:

فالصوت العذب: يشير إلى مرونة صاحبة وحسن تكيفه مع الظروف الاجتماعية.

والصوت الخشن دليل على العصبية المزاجية لصاحبه.

والصوت اللاهث متلاحق الأنفاس يدل على عدم الاستقرار الوجدانى ودليل على الضياع العاطفى.

والصوت الخارج من الأنف يدل على أن صاحبه معرض للإصابة بالأمراض العصبية والنفسية.

وأيضا أشار «هورت» إلى أهمية الاستدلال بجلد الإنسان لمعرفة شخصيته:

فالجلد البنى اللون الغامق أو الأسمر يدل على جفاف وحرارة صاحبه.

والجلد الأبيض يدل على أن صاحبه ذو رطوبة عالية وحررة أقل.

ووضع «بقراط» دلالات جسدية للإنسان يستطيع الطبيب معرفة الحالة المرضية من خلالها، فأصحاب الصدور النحيفة الضيقة معرضون للإصابة بأمراض الصدر، وسوء الهضم واختلال الذهن.

وأصحاب الصدور الواسعة العريضة والجسم الضخم معرضون للإصابة بالبول السكرى والاستسقاء والسكتة الدماغية والتهاب الكليتين وأمراض القلب والمرارة.

وعلى هذا الأساس وضع العالم أرنست كريتشمر نظرية أخرى لمعرفة الأشخاص المعرضين لإصابة بالأمراض النفسية:

فالشخص النحيف الهزيل معرض بالإصابة بمرض الشيزوفرانيا.

والشخص البدين معرض للإصابة بأمراض الاكتئاب بكل مراحله وقد يدفعه الاكتئاب إلى الانتحار.

وقد أكد تشارلز دارون على وجود علاقة بين أفعال الإنسان وحركاته وبين تأثيرات عقلية معينة وعن العضلات التى تتحكم فى تعبيرات الوجه والتى تسبب ظهور ثنيات وتجاعيد فيه(١).

ويعتبر العالم الاسكتلندى «سير شارلز بيل» وهو عالم تشريح أول من أسس نظرية تفرس الإنسان من خلال تعبيرات وجهه فى كتابه «مقالة عن تشريح التعبيرات» عام ١٨٠٦م وشرح فيه تأثير الانفعالات على العضلات المختلفة وكيف أن تلك التعبيرات تظهر عواطف وانفعالات معينة ولا شك أن تعبيرات الوجه تدل على الحالة النفسية والمزاجية بل والمرضية لأى إنسان.

وفى كتاب «الوجه والشكل»(٢) وضع «هارتلى» نظرية معرفة باطن الإنسان وشخصيته من خلال التفرس فى وجهه فقال: إذا أردت اكتشاف طباع الرجل راقب الجبهة أكثر من أى ملامح أخرى.

فكلما كانت الجبهة طويلة دل ذلك على أن الشخص أكثر قدرة على الإدراك والفهم. وإذا كانت الجبهة قصيرة أو مجعدة أو معقودة دلت على انطواء صاحبها وعدم استطاعته على عقد صداقات مع الآخرين.

وأما عن الحواجب فقال: إن الحواجب الغليظة المعقودة تدل على وجود عقل راجح لدى الشخص.

---

(١) وقد وضع تشارلز دارون نظريته فى كتابه «التعبير عن الانفعالات» عام ١٨٧٢م، وكان قد صار على نهج هيربيرت سبنسر الذى وضع نظرية فى علم النفس شرح فيها العلاقة بين الحالة النفسية والمظاهر الجسدية للإنسان وذلك فى كتابه عن علم النفس عام ١٨٥٥م.

(٢) صدر الكتاب عام ١٨٨٥م.

والحواجب البرية المعقودة لا تدل على أن صاحبها ذو طباع لينة.

وأصحاب الحواجب الكثيفة المشوشة تدل على أصحاب العقول المبدعة.

وهناك من العلماء من ربط بين شكل الجمجمة وحجمها وبين شخصية الإنسان وطبائعه مثل العالم الفرنسى «جال» الذى وضع نظريته التى ربط فيها بين علم الفراسة وتشريح جمجمة الإنسان عام ١٨٠٠م وأساسها أن المخ هو مكان العقل، وأن قوة العقل تنقسم إلى قدرات محدودة العدد، كل منها تستقر فى مكان محدد من المخ.

ومن خلال تحديد مساحة المخ ونتوءات الجمجمة يستدل على القوة العقلية للشخص، على أساس وجود تشابه بين مظهر الجمجمة الخارجى والمخ الذى بداخلها.

وقسم «جال» المخ إلى ٣٥ منطقة كل منها له اختصاص محدد بقدر عقلية معينة مثل القدرة على الخداع والمشاكسة مع الآخرين، وملكات الإبداع عند العلماء والشعراء.

ألا أن نظريته لم تلق أى قبول لدى العلماء لتنافيها مع ابسط المبادئ العلمية فى تشريح المخ فلم تلق أى قبول واندثرت.

ومن العلماء الذين اظهروا وجود ارتباط بين طباع الإنسان ومظاهر جسده الخارجية العالم «جون كاسبر لافاتر» الألمانى الذى اصدر كتاباً عام ١٧٧٢ لفت انتباه الناس إلى معرفة طباع الأشخاص من خلال الوجه والشكل العام الخارجى.

ووضع «لافاتر» فى كتابه نحو ٥٠٠ صفحة بها حوالى ٦٠٠ صورة لرؤوس أشخاص كنماذج لنظريته التى لاقت القبول عند البعض مثل «صموئيل ولس» الذى أصدر كتابه فى هذا المدمار فى نيويورك عام ١٨٦٦م ووضع فيه نحو ألف شكل للإنسان للاستدلال من خلالها على طبائعه وشخصيته.